

# وراء النهر ..

## قصة بقلم كاظم سعد الدين

سارت مع اخيها بمحاذاة الجدول فيما وراء البساتين . وتطلع  
اخوها الى الاعشاب الطويلة والممتدة الى مسافة بعيدة وفد علاها الفبار .  
- جاسمية ، ليش الرعيان متجيب الغم تاكل الشب ؟  
فشمزت اذبال عبايتها ولغتها حول خصرها كما تفعل وهي تقدم  
على عمل او حينما تكون حائقة .  
- ليش الانكريزي خلوا طعام : حنطة ، شعير ، تمر ؟ خلوا على  
حالتنا حال حتى الرعيان تامن ترعى هنا ؟  
- جاسمية ، انت شلون تامين تجين يم الهندي ؟ ماهو حبس ابوي  
بالخيمة ؟  
ونظر عبر النهر وخلال شجيرات الصفصاف الى الخيمة المنبحة  
في طرف الخيم الانكليزي الرايض على سفح المقبرة المرتفعة فاجابته :  
- لو يدرون الانكريزي جان ذبحوني . اسمع حسون : لو جسا  
الهندي لاتكول ابوي محبوبس بالخيمة .  
- ليش ما آكول ؟  
- ترى ما ينطينه تمن ولا اكل .

كان الهندي اذا لاحت اليه من بعيد يأتي اليها ومعه صرة تمن او  
بامية يابسة ، عدس او هرطمان . يسرقها من مخزن الانكليز ويدفنها  
في احد القبور الرخوة المتيقة . وتزفزع بضحكتها ويركض وراءها ، فتسرع  
الى بستانهم القريب حيث امها واخوانها ، ولكنه يرجع لئلا يفتن  
اليه السارجنت الانكليزي فيقتلها او يأخذها الى الخيمة على الاقل .  
والفيا الهندي من بعيد قد عبر الجدول . منذ يومين لم يجلس  
معه صرة الحبوب كي يشد جاسمية قريبا اليه باوتار الجوع ثم يأتي  
بها بعد ذلك . لابد انه جاء في الموعد عندما كانت رؤوس النخيل تعانق  
عين الشمس ، سيقول لها :  
- اليوم وصلت ورا الشمس .  
ثم التفتت الى اخيها الذي يشب وراءها ، وحدقت في عينيه لتتأكد  
من انه يسمعها .

- شوف حسون من اكل لك روح جيب خيار ، انت اعرف شفلتك  
بالمجل . مثل ماعلمتك ، سمعت ؟ .. من تخلص جيب خيار .  
واقتربا منه ببطء غير متصاد ، وابتمس اليها ونزل قليلا نحوهما ،  
والتفتت الى حسون ، ودفعت صوتها عن عمد وقالت :  
- حسون ! روح جيب خيار ، نسيت اجيب .  
وركض حسون من حيث آتى متجها نحو البستان الذي الى يمين  
الجدول ولكنه سيرجع الى اليسار عندما يصل المنطف ، سيظن الهندي  
انها ارسلته بعيدا عنها كي يخلو لهما الجو ، وفرح بذلك ، وبانت على  
محياء غلام الراحة ، وسألها كانه فكر في الامر مقدما ووصل مرة اخرى  
الى نفس نتيجة امس وما قبله :  
- تعال للخيمة ، لتخاف ما اسوي ..

واشار بيديه وفهمت قصده ، ارادت ان تعيد عليه : امي تكول  
اذا تريد تتزوج من تخلص الحرب يرجع ابوي واخذني منه .  
ماذا يفعل لو تقول له ان اباه الان سجين في معسكرهم وفسي  
ماذا يفعل لو تقول له ان اباه الان سجين في معسكرهم وفسي  
الخيمة التي تحت حراسته . ذهب الى بغداد . كان كل مرة يذهب الى  
هناك ماشيا واحيانا على فرس . وكان يحمل معه رسالة يلقيها فسي

خرقة ويضعها في حذائه . سمعت ذات مرة صاحبه يقول له ان يضع  
الرسالة في حفرة « الفلق » ويأخذ الرسالة الموجودة فيها ولا حاجة به  
ان يواجه احدا . ويعود في الحال ، عليه الا يدع الرسالة تقع بيد العدو  
والا حدثت كارثة . من العدو بالضبط ؟ لما دخل جيش الاتراك المدينة  
كانوا ينشدون الاناشيد في تمجيد السلطان وطلب المعونة لسحق  
الكفار . فاخذوا الإبقار وشدهوا بالعربات شان الحميم والنخيل ، وسافوا  
بعضها وراءهم وجمعوا كل فاس ومسر وممول حتى الجبال . الجنود  
يحفرون بها سوبرات ، لم يكن في المدينة رجال سوى الشيوخ وكان  
ابوها هاربا من العسكرية . فانهزموا الى البستان ، لو لقي الترك  
القض عليه لصلبوه كما صلبوا « رديف » وجماعته في حارة المدينة .  
وتذكرته في الخيمة فتطلعت الى خيمته وقالت للهندي :

- اخاف من الانكريزي ، انا اخاف عليه .  
لم تكن تعرف ما الكارثة . ولكنها قلقة ، وواصلت سيرها ، هل  
هي اكبر من الموت بالرصاص وسظايا القتابل ام الحرق ؟ كلا ، ليس  
ثمة اقطع من ... من ... وغطت عينها بيديها .. دخول الانكليزي  
عليها ثم الهنود بعد ذلك .. واسرعت نحو كتلة كثيفة من اشجار  
الصفصاف . وتبعها الهندي فواجهته وقال لها :

- لتخاف من الصاحب ، اذا جا اسوبه ... وأشار بيديه كمن  
يصوب فوهة بندقية وحملق عينيه واخرج صوتا : تب ... ي  
- يضرب رأسك بالور ور  
وكانها مست وترا خفيا فيه فانتفش كالدك .  
- اليوم بالحرب كال سارجن : ابلدي فكن ، كاور . راد يموت بحيلة  
من وراء .

كانت ترفب مع حسون ميدان المعركة من بين الاشجار وراء النهر .  
شاهدا حركات الانكليز والهنود ، حتى المدافع والنار ، لم يبد من معسكر  
الترك بعيدا وراء التلال سوى برج المراقبة الخشبي .  
قالت له : انت كسرت الترك ..  
ورفعت يديها الى الاعلى تشبها بالبرج ، فقال فرحا :  
- كسرته كله ...

وظل يتكلم عن المعركة والسارجن والطاك وطيك وشراينيل ، وغشيت  
عينيه غشاوة ولم تعد ترى الهندي وهي تحديق فيه وتصورت اخاها قد  
أهسك به السارجن الانكليزي قرب خيمة ابيها بعد ان كسر ماء الجدول .  
مسك الانكليز اباه وهو عائد من بغداد . كان البعض في المدينة عندهم  
« باصات » عدم تعرض من الانكليز ، جاءهم الخبر مساء ، « ابو جاسم  
لزمه الانكليز » كان مشدود اليدين الى الوراء ، أسرعت تنتظر وصوله  
للمعسكر ، استقرت النظر اليه من وراء الصفصاف ، دفعه ذو الوجه  
الاحمر باخمص بندقيته الى داخل الخيمة ، سوف يصل الماء اليها برمشة  
عين . كانت مع حسون يحفران تحت كنف الجدول العالي ، لما شغل الجنود  
بانفسهم في المعركة ، نزلا يحفران ، كان الدوي والازيز معتادين لديهما ،  
فاذا وصل الماء سوف ينشغل الجنود في المعسكر بنقل اثباتهم ، ستسبح  
الفرصة لابيها ان يهرب ، لعله هرب الان ، فالهندي الحارس قريبا الان ،  
وقد اخفته وراء الصفصاف . قالت :

- اخاف عليك ...  
فنظر اليها بامعان فالغاما مضطربة واقترب منها ومد يده وراء

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصيدة جديدة للاديب الجزائري كاتب ياسين  
ترجمة مالك أبيض العيسى

غير عابئين بالعصابة المشدودة على اعينهم  
كانوا أبدا يحملون حتى تكل سواعدهم  
نتاج فكرهم وجدور حياتهم  
.....  
أن تموت هكذا ..... تلك هي الحياة  
.....  
في الحرب ام بسرطان الدم  
لكل ميتة بطيئة جاءت أم عنيفة  
انها تبقى أبدا واحدة  
بالنسبة لأولئك الذين تعلموا أن يقرأوا في الظلمات  
والذين لم ينقطعوا عن الكتابة ،  
غير مكترئين للعصابة المشدودة على أعينهم  
.....  
أن تموت هكذا ..... تلك هي الحياة  
.....  
فانون وعمروش وفرعون  
ثلاثة أصوات تحطمت  
ولكنها ما تزال تفرع أسماء  
انها أقرب إلينا الان من أي وقت مضى .  
.....  
أن تموت هكذا ..... تلك هي الحياة

فانون (1) ، عمروش (2) ، فرعون (3)  
ثلاثة يناييع ثرة  
لم تبصر ضوء النهار  
ثلاثة يناييع تفجرت دمدمة أليمة  
تحكي قصة الكفاح المستعر في اعماق الارض  
فانون وعمروش وفرعون  
اولئك الذين تعلموا أن يقرأوا في الظلمات  
اولئك الذين لم ينقطعوا عن الكتابة

1 - فرانز فانون : طبيب نفسي افريقي التحق بجهة التحرير  
الجزائرية وعمل في سفوفها . قضى قبل استقلال الجزائر بسرطان  
الدم . كتب : « معذبو الارض » الذي ترجم حديثا الى اللغة العربية .  
2 - جان عمروش : اديب جزائري من كتبه : « أغان بربرية من  
جبال القبائل » و « جوغورثا الخالد » يبدو أنه قضى قبل الاستقلال  
أيضا .  
3 - روائي جزائري اغتالته منظمة الجيش السري الفرنسية  
بعد توقيع اتفاقيات ايفيان .  
آثاره : « الارض والدم » - « ابن الفقير » - « الطرق الصاعدة »

( الترجمة )

ماذا تسأله بعد هذا ، نغد الكلام ، رفعت صوتها متضرعة وقد ضاق  
صدرها والتفتت الى الدرب .  
- ربي دخيلك ، جيبه لحسون !  
وتصبت حتى من التنفس ، « ستسأله ؟ »  
- زين أهلك غلام ؟  
- بالهند ، ورا بحر  
« دخيل .. يوم . » واخرجت رأسها من وراء الإغصان وتطلعت  
الى الدرب اللتوي .  
- ليش جيت ؟  
- الصاحب ... للحرب  
وخطر ببالها ان تسأله سؤالا لتدري كيف حضرها :  
- ليش تكتلون الناس ، وتحركون بيوتهم ؟  
ولم يجب بل زاغت عيناه ، وجفل الاثنان اذ سمعا صوت ركض  
ووقع حوافر ، فانسحب الهندي الى داخل الاشجار وأرهفت هي السمع  
فأناها من الجانب الاخر فناء الاغنام والماعز وجلبة الجنود ، ثم مر بهما  
أتان يركض وراءها انكليزي .  
كاظم سعد الدين  
بغداد

ظهرها فنفرت ، وعاوده الحنين ، يعرف انها تحب الطعام اكثر منه وان  
كلامها زيف ، فقال لها :  
- يجيب الثمن ؟  
فجفلت مرتعة ، سوف يمسك اخاها ويعرف ان السجين ابوها ،  
لعل الماء لم يصل ، وسيعرف السارجنت ويبعده عن الحراسة ، تريد ان  
يهرب ابوها أثناء الفرق لئلا تضيع من يديها الحبوب ، فقالت والرعب  
يملا فمها وعينيها :  
- لا ! لا تروح ! بعد .. وكت ... هسه بخلص .. ويجيب ...  
الخيار .  
وراحت تزفر ، ومدت يدها الى صدره تدمفه ، فمسك يدها وتطلعت  
الى وجهه وقالت :  
- شو ماعندك لحية ؟  
- مسلمان الحمد لله .  
وفك يدها ووضع يده على صدره ، ثم اشار الى وجهه وقال :  
- ابو لحية سيك ، كافر .  
- أنت شمسك ؟  
- غلام .